

عندما يسافر الغريب إلى مراكش

< تحقيق وتصوير: أرمين غيمر

"اللؤلؤة الحمراء"، و"قلب المغرب النابض"، "مسرح الشرق"، "مائدة المنوعات"، هذه هي تسميات مدينة مراكش. وعندما يتكلم الناس عنها، وخصوصا جامع الفنا الساحة المفضلة عندهم، لا تستطيع أدلة السفر الأوروبية التوقف عن استخدام لغة المبالغة. فهل تستطيع المدينة تلبية تطلعات أيقظتها أدلة السفر؟

مصطلح "الشرق" هو (مصطلح) مصطنع، فهو يصف الكيفية التي نظر بها المؤلفون والشعراء الغربيون لبلد أجنبي. ولكن أي مصطلح يستطيع وصف جامع الفنا أفضل من مصطلح "مسرح"؟ وجمع التعريفات

بالعالم العربي، يعني لهم الدخول إلى هذه الساحة الوقوع تحت سحر أصوات الطبالين وحركات البهلوانيين ومروزي الثعابين. ومصطلح "مسرح الشرق" هو أحسن وصف للمشهد الذي ستشاهدونه. لماذا؟ لأن

النسبة للكثيرين الذين لم يزورها سابقا، فإن لها هالة سحرية، وهي مدينة مليئة بشذا الشرق، ومكان لا تزال الحياة العربية القديمة موجودة فيه. بل إن الذين يعرفون إفريقيا من الداخل ولهم دراية



Djemaa el-Fna

جامع الفنا

الأسواق

أكثر من بضعة مؤرخين يدعون أن كلمة "السوق (ماركيت)" التي تستخدم في جميع اللغات الأوروبية مستمد من السوق في مراكش. وأن هذا الشكل من أشكال التجارة وصل إلى أوروبا عن طريق إسبانيا. قد يرى الشخص الذي يدخل سوقاً لأول مرة متاهة من الممرات. ولكن في غضون بضع ساعات يبدأ بالتعرف على المنطق فيها والإشارات المفيدة التي تدل على الطريق. ويعرض الكثير من الحرفيين التقليديين صناعاتهم للسياح. ورغم تشييد المحلات الحديثة، فإن غالبية السكان يحصلون على مشترياتهم من السوق. من الجانب الشمالي لجامع الفنا تلجوز إلى البوابة الرئيسية للسوق حيث أسواق بيع الفخار ومن ثم إلى شارع سوق السمارين الذي تباع فيه المنسوجات وراء ساحة الرحبة ◀

إن وصف " اللؤلؤة الحمراء" ليس من إبداعات كتب السفر في العصر الحديث. ولكن يعود إلى شاعرة أندلسية في القرن الثاني عشر. هي حفصة بنت الحاج. أعجبت كثيراً بالمدينة، والتي كانت في ذلك الوقت قد أشاد بها الرحالة العرب للونها الأحمر الفريد والتميز وحجمها. وقد كانت رمزاً لسلطة المرابطين والسلطان يوسف بن تاشفين (1009 - 1106) والذي امتد سلطانه إلى شمال إسبانيا. وقد أسس في عام 1070 مدينة ضخمة على بقعة جرداء. والمدينة ضخمة حتى بمقاييس اليوم. فالجدار الذي يطوقها يبلغ طوله أكثر من 13 كم. وهي ختوي على أكبر سوق في العالم. استكشف المدينة القديمة بأسرها سيستغرق أسابيع. وليس سوى جزءاً صغيراً منها. في الحقيقة، مألوف للسائح العادي.

على أن هذه الساحة هي بالفعل مسرحاً. يلبي هذا الموقع رغبة كل سائح لكن شيئاً واحداً يبقى غائباً وهو أن هذه الساحة، بالتأكيد، ليست هي المغرب. وبالنسبة للمغامرين الذين يتجنبون الطريق المعتادة للسياح. فإنهم لن يجدوا بالضرورة ما يبحثون عنه على أساس مائة سنة من كتب الرحلات- بالطبع لا. فإن مراكش هي مدينة متروبولية حديثة. وسيجدون فيها أشياء فريدة تحتاج إلى الإستكشاف. وليست هذه الساحة غير الجميلة ولا تحمل الطابع العربي تماماً والتي تبدو في وضوح النهار ملة ولكنها اختيرت من قبل اليونسكو كموقع للتراث الثقافي العالمي. ما يجدونه فريداً هو المدينة القديمة الكبيرة. وإذا كانت هناك نقطة جذب واحدة مهمة وينبغي أن لا تفوت السائح. فهي مراكش نفسها. وليس القبول بما تذكره كتب أدلة السفر.



زقاق ضيق في القسم الجنوبي من السوق
Narrow alley in the southern area of the souk



السوق عصراً
Late afternoon in the souk



Narrow alley near Bahja Palace

زقاق ضيق بالقرب من قصر الباهية

الأطلس في الخلفية، أمر جدير بالقيام به حقا. أيضا "أن ما ينبغي زيارته" هو متحف مراكش، ومتحف الفن الإسلامي ومتحف الفن المغربي. وإذا كان لديكم الوقت، لا تفوتكم زيارة إحدى الحدائق العربية الرائعة.

وحتى لو كان ما يراه المرء هنا ليس هو بالضبط ما يمثل المغرب الحديث، فإنه مكان معقول للسكن. ومكان مثالي للبدء في تعويد النفس لتتعرف على مناطق مجاورة مثيرة وغير مألوقة. ■

وقت واحد. ومن خلال باب أغناو في جنوب المدينة، وهي أجمل بوابة في المدينة، يدخل المرء إلى القصبة ومقابر السعديين وقصر الباهية وقصر الملك.

وفي الجانب الجنوبي من مسجد القصبة توجد قبور السعديين. وهناك المسجد الفخم المقام على ضريح السلطان أحمد المنصور، وخلافا لمسجد القصبة فهو لا يضم ضريحا ولكن متحفا يمكن زيارته. والجولة حول قصر الملك وقصر الباهية وحدثهما، ومشاهدة جبال



جامع علي بن يوسف في الليل
Ali Ben Youssef Mosque by night

القديمة حيث ينقسم إلى شارع سوق العطارين والسوق الكبير، ولا يوجد الكثير من الأزدحام في الشوارع الجانبية الضيقة. وهنا يمكن ملاحظة الحرفيين وهم يعملون. وما يثير الاهتمام بشكل خاص هو مشاهدة أسواق النجارين والحدادين. وبينما تتمتعون بالشاي المعطر بالنعناع فإن لديكم فرصة للاتصال بالسكان المحليين.

المساجد والمدارس الدينية

من مساجد المدينة الكبيرة مسجد علي بن يوسف. وهذا المسجد تقام فيه صلاة الجمعة وقد بني سنة 1120 وأعيد إعماره في القرن التاسع عشر. والمدرسة التي تحمل نفس الاسم تعود إلى القرن الرابع عشر الميلادي. وكانت أكبر المدارس القرآنية في المغرب. منارة مسجد الكتبية التي يبلغ ارتفاعها 70 م تبدو للمشاهد من مسافة بعيدة وهي أثر تاريخي للمدينة، والمئذنة المربعة هي نموذج لكل من الجيرالدا في أشبيلية ومسجد حستان في الرباط، والمئذنة متوجة بأربع كرات نحاسية، ويقال أن هذه الكرات كانت في يوم ما مصنوعة من الذهب الخالص. وבלاطة الموزاييك الخضراء المتبقية في أسفل المنارة تعرض لنا جانبا من المجد القديم للمئذنة. ويتسع مكان الصلاة لأكثر من 1200 من المصلين في المسجد في